الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

اللجنة العلمية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

رقم : 78 / 2021 .

المسيلة في : 03 مارس 2021

مستخرج من محضر اجتماع اللجنة العلمية

بخصوص تزكية مطبوعة جامعية

اجتمعت اللجنة العلمية للقسم بتاريخ : 2021/01/19 في دورتها العادية ،

وشكلت لجنة خبرة للمطبوعة البيداغوجية الموسومة :

دروس في البلاغة العربية ، موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس ، السنة الجامعية :

2021/2020 ، عدد الصفحات : 43 صفحة ، **إعداد الدكتور : عبد العزيز تواتي**

تتكون من الخبيرين : أ.د / بلخير أرفيس و د/ مصطفى بن عطية

و بناء على :

1- تقرير الخبرة الإيجابية لـــ : أ.د/ بلخير أرفيس المؤرخ في : 13 فيفري 2021

2- تقرير الخبرة الإيجابية لـــ : د/ مصطفى بن عطية المؤرخ في : 01 مارس 2021

فإن اللجنة العلمية تزكي المطبوعة المذكورة أعلاه .

رئيس اللجنة العلمية

رئيس اللجنة العلمية لقسم اللغة و الأدب العربي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - كلية الآداب و اللغات

رئيس اللجنة العلمية

أ.د. جمال بحناح

المطبوعة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بلمسيلة

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

دروس في البلاغة العربية

موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس .

إعداد الدكتور : عبد العزيز تواتي .

السنة الجامعية : 2021/2020

المحاضرة الأولى

البلاغة: المصطلح والمفهوم

لقد ازداد الاهتمام بالبلاغة من قبل الباحثين والعلماء مع دراسة القرآن الكريم، الذي كان المحفّز الأساسي لانبثاق مختلف العلوم، ومنها علم البلاغة والفصاحة، إضافة إلى محفز آخر يتمثل في كلام العرب من أشعار وأمثال وخطب، تناقله الرواة وتدارسوه.

تعتبر الفصاحة شرطا أساسيا للبلاغة، فما ليس بفصيح فلن يكون بليغا؛ لذلك لا بد من معرفة الفصاحة وشروطها، كأساس للانتقال إلى مفهوم البلاغة، وللفصاحة معانٍ تلتقي كلها في معنى البيان والظهور والوضوح، قال ابن منظور: «يقال: ما كان فصيحا ولقد فَصُح فَصاحة، وهو البيّن في اللسان والبلاغة»[1]، وفي القرآن ورد قوله تعالى: (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا)، وجاء في تفسيره: «يقول: أحسن بيانا عما يريد أن يُبيّنه»[2].

وتُطلق الفصاحة وصفا للكلمة والكلام والمتكلم، فأما **الكلمة الفصيحة** فهي الخالية من هذه العيوب[3]:

1- تنافر الحروف: وهو يوجب ثقل الكلمة على السمع وصعوبة أدائها باللسان، وهو نوعان: شديد في الثقل نحو كلمة "الظّشّ" (الموضع الخشن)، ونحو "الهعخع" (نبت ترعاه الإبل)، وخفيف ككلمة النقنقة لصوت الضفدع وكلمة النقاخ وهو الماء العذب وكلمة مستشزرات التي وردت في شعر امرئ القيس: غدائره مستشزرات إلى العلا

والضابط في معرفة الثقل في الكلمة هو الذوق السليم والحس الصادق.

2- غرابة الاستعمال: أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال، مثل كلمة افرنقع، وتكأكأ، من قول عيسى بن عمر النحوي: ما لكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جنة، افرنقعوا عني.

3- مخالفة القياس: أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت من القوانين الصرفية المستنبطة من كلام العرب، نحو كلمة "الأجلل" في قول أبي النجم: الحمد لله العليّ الأجلل/ الواحد الفرد القديم الأول، فالقياس الأجلّ بالإدغام، ولا مسوّغ لفك الإدغام، ويستثنى من ذلك ما ثبت استعماله عند العرب ولو خالف القياس، مثل كلمة المشرق والمغرب بكسر الراء فيهما، والقياس فتحها.

4- الكراهة في السمع: كون الكلمة وحشية تمجّها الأسماع وتأنفها الطباع، ككلمة "الجِرِشّى" وهي النفس في قول المتنبي: مبارك الاسم أغر اللقب/ كريم الجرشى شريف النسب

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دت)، مادة (فصح)، ج02، ص544.

[2] محمد بن جرير الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، القاهرة، ط1، 2001م، ص249.

[3] يُنظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دت)، ص20 وما بعدها.

وأما **الكلام الفصيح** فهو ما خلا من هذه العيوب:

1ـ تنافر الكلمات: حيث تجتمع الكلمات المتنافرة فتثقل على السمع، ويعسر النطق بها، كقول الشاعر: وحرب قبر بمكان قفر/ وليس قرب قبر حرب قبر، وهو شديد الثقل، ومن خفيفه قول أبي تمام: كريم متى أمدحه أمدحه والورى/ معي وإذا ما لمته لمته وحدي

2ـ ضعف التأليف: وهو أن يجري الكلام على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند الجمهور، كوصل الضميرين، في قول المتنبي: خلت البلاد من الغزالة ليلها/ فأعاضهاك الله كي لا تحزنا، وكالإضمار قبل ذكر المرجع لفظا ورتبة، نحو: ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا/ من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

3ـ التعقيد: هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المراد به، وهو إما أن يكون لفظيا ناشئا عن تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبيّ، كقول المتنبي: وما مثله في الناس إلا مملكا/ أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه، وإما أن يكون معنويا، وذلك أن يكون انتقال الذهن من معنى إلى معنى لازمٍ له غيرَ ظاهر، كقول العباس بن الأحنف: سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا/ وتسكب عيناي الدموع لتجمدا، فجمود العين كناية عن البخل لا المسرة التي أرادها الشاعر[1].

4ـ كثرة التكرار: هو تعدد اللفظ مرة بعد أخرى من غير فائدة، كقول الشاعر: إني وأسطارٍ سُطرن سَطرا/ لقائل يا نصرُ نصرُ نصرا

5ـ تتابع الإضافات: كقول ابن بابَك: حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي/ فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

وأما **فصاحة المتكلم** فهي «ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح»[2].

أما **البلاغة** فتعني لغةً الوصول والانتهاء، وفي لسان العرب: «بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى »[3]، أما اصطلاحا فقد اشتهر تعريفها بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة ألفاظه، والبلاغة هي «تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون »[4].

ومن تعريف البلاغة نلمح أهمية الحال أو المقام، فهو الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه بصورة مخصوصة هي ما يقتضيه ذلك الحال، فالمدح مثلا قد يوجب الإطناب في الكلام، فالمدح مقام، والإطناب مقتضى ذلك المقام، وإذا تم الكلام بليغا تمكن من نفس السامع وأحدث في نفسه أثرا، بأساليب ـ يتضمنها ـ تناسِب بين الألفاظ والمعاني، وخلاصة البلاغة

[1] يُنظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص17، 18.
[2] المصدر نفسه، ص19.
[3] لسان العرب، مادة (بلغ)، ج08، ص419.
[4] جواهر البلاغة، ص40.

أنها تقع «في الكلام الذي يصيب معناه بوضوح وسلامة، مع خلوه من التكلف والفضول، ومراعاته لمقتضى الحال»[1]، و**المتكلم البليغ** هو كل ذي ملكة في نفسه يقتدر بها على إنشاء الكلام البليغ الذي سبقت صفته، ولا يتأتى له ذلك إلا بالإحاطة بأساليب العرب وفنونهم في القول حال مخاطباتهم ومنافراتهم ومفاخراتهم ومديحهم وهجائهم وشكرهم واعتذارهم وغير ذلك.

تطبيق:

1ـ ما الفصاحة؟ وما البلاغة؟ عدّد العيوب المخلة بفصاحة المفرد. ما معنى مخالفة القياس؟

2ـ ما الذي أخل بالفصاحة فيما يلي:

ـ قال الشاعر: فلا يبرم الأمر الذي هو حالل/ ولا يحلل الأمر الذي هو يبرم

ـ قال أبو تمام: قد قلت لما اطلخمّ الأمر وانبعثت/ عشواء تالية غُبسا دهاريسا

ـ وقال آخر: فإن يك بعض الناس سيفا لدولة/ ففي الناس بوقات لها وطبول

ـ وقال المتنبي: أبعد بعدت بياضا لا بياض له/ لأنت أسود في عيني من الظلم

ـ وقال ابن جحدر: حلفت بما أرقلتْ حوله/ همرْجَلَة خلقها شيظم

ـ وقال آخر: لم يلقها إلا بشكة باسل/ يخشى الحوادث حازم مستعدد

ـ وقال آخر: لك الخير غيري رام من غيرك الغنى/ وغيري بغير اللاذقية لاحق

ـ وقال آخر: أنى يكون أبا البرية آدم / وأبوك والثقلان أنت محمد

ـ وقال آخر: ليس إلاك يا عليّ همام / سيفه دون عرضه مسلول

ـ وقال آخر: ومن جاهل بي وهو يجهل جهله / ويجهل علمي أنه بي جاهل

ـ وقال آخر: لما رأى طالبوه مصعبا ذُعروا/ وكاد لو ساعد المقدورُ ينتصر

ـ وقال زهير: ومن لم يذدْ عن حوضه بسلاحه/ يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ـ وقال آخر: وما أرضى لمقلته بحلم/ إذا انتبهت توهمه ابتشاكا

[1] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، (دت)، ص18.

المحاضرة الثانية

البحث البلاغي: نشأته وتطوره (1)

إن المتأمل في بدايات نشأة البلاغة عند العرب في العصر الجاهلي ليلمس حقيقةً معرفتهم لكثير من الأحكام النقدية والبلاغية التي تشير إلى تذوّقهم للشعر وتبصرهم وإدراكهم لأسراره وفنونه ومناحي القول فيه، إذ بلغ العرب شأوا رفيعا ومكانة متميزة في البلاغة والبيان، ولا نبالغ إذا اعتبرنا تلك المرحلة قد عرفت أرقى درجات الفصاحة والبيان؛ لما برع فيه العرب من أساليب اللغة وحذقوه من حسن البيان، ومن أكبر الدلائل على ذلك نزول القرآن متحديا إياهم أن يأتوا بسورة من مثله، فلولا قوة العرب البيانية وحسن منطقهم وبلاغة ألسنتهم لما كان هناك داع لذلك التحدّي، وليس هذا التحدّي إلا دعوة تدل بوضوح على ما أوتي العرب من اللَّسْن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام ونظم الشعر كما تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبيين ما يجري فيها من جودة الإفهام وبلاغة التعبير.

لقد أحب العرب لغتهم واعتنوا بها، واحتفوا بها أيما احتفاء، حتى صار التفنن في القول والبلاغة في الكلام طبعا من طباعهم، ولا يكاد يقتصر على الخاصة منهم، إذ شارك فيه الجميع، نساءً وأطفالا، شيوخا ورجالا، ولا سيما الشعراء منهم والخطباء، وكان الشعر بمثابة ديوان ضخم يسجل فيه العرب مآثرهم وأيامهم وأمجادهم ومفاخرهم وكثيرا من الوقائع التي عاشوها، كما عرفوا إلى جانب ذلك ما يشبه المؤتمرات أو المجالس الأدبية، من ذلك ما رواه ابن قتيبة من أن المتلمس الشاعر قد عاب عليه طرفة بن العبد قوله: وقد أتناسى الهم عند احتضاره/ بناج عليه الصيعرية مكدم، قال ابن قتيبة: « والصيعرية سمة للنوق لا للفحول، فجعلها لفحل. وسمعه طرفة ينشد هذا، فقال: "استنوق الجمل" فضحك الناس وسارت مثلا»[1].

ومما يروى في هذا الباب تفضيل النابغة للخنساء على النساء في الشعر، وتفضيله الأعشى على الرجال، وكان حسان حاضرا فقال للنابغة: أنا والله أشعر منك ومنها ومن أبيك، فقال النابغة: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول: لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى/ وأسيافنا يقطرن من نجدة دما...ولدنا بني العنقاء وابني محرق/ فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

قال النابغة: إنك شاعر لولا أنك أقللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسان منكسرا منقطعا[2].

إن مما يميز شعراء العصر الجاهلي أنهم كانوا ينتقون اللفظ والمعاني والصور ويقفون عندها، ولا أدل على ذلك من تقديمهم لملاحظات نقدية تُعد من أسس التقعيد في علم البلاغة العربية، والمتأمل يرى ذلك جليا في أشعارهم التي تزخر بشتى الصور البيانية والبديعية من تشبيهات واستعارات ومقابلات وتجنيسات.

ومما سبق من الأمثلة يمكن القول إن الأحكام النقدية في العصر الجاهلي كانت مبنية على أساس النظر في المعاني وفي الصياغة، وأغلب هذه الأحكام لم تكن معللة، وأما المعلل منها على قلته فلمجرد الإعجاب بالمعاني أو القيم الخلقية [3]، فإذا أعجب الذي يحكم بمعنى عند

---

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (دت)، ص183.

[2] يُنظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط04، 2000م، ج08، ص113.

[3] يُنظر: الموجز في تاريخ البلاغة، ص30.

شاعر ما حكم له، وإلا حكم عليه كما رأينا في المثال السابق، فالبلاغة عند العرب في الجاهلية «كانت أمرا فطروا عليه، أو هدتهم إليه سلائقهم، وعشقته نفوسهم. وألفته ألسنتهم وآذانهم، فهم يعرفونه ولا يكادون يختلفون عليه، ولكننا لم نعرف لهم كلاما يبين عناصر البلاغة التي كانوا يتوخون»[1].

وبعد بزوغ فجر الإسلام جاء القرآن ليصف لنا ما انتهى إليه العرب من البيان وحسن القول، فيقول عز وجل مخاطبا نبيه: (وإن يقولوا تسمع لقولهم)، ويقول: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا)، ومع ذلك فإن القرآن قد أعجز أرباب البيان وأصحاب البلاغة، حتى أن الوليد بن المغيرة وقف مندهشا عندما سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن، وقال قولته الشهيرة لقومه: " والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق"، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغ العرب وأفصحهم، يصفه الجاحظ بقوله: «ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيرا »[2]، كما اشتهر الخلفاء بعد النبيّ باهتمامهم بالشعر ودرايتهم بفنونه، من ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «أنشدوني لأشعر شعرائكم، قيل: ومن هو؟ قال: زهير، قيل: وبم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين القول، ولا يتبع حوشيّ الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه »[3]، وكذلك علي بن أبي طالب الذي كان مضرب المثل في البلاغة والبيان، وسارت أمثاله وحكمه في الناس يتداولونها بينهم.

وأما عن العصر الأموي بُعَيد عصر الخلفاء الراشدين فقد برز فيه مجموعة من الشعراء الفحول أمثال جرير والأخطل والفرزدق، وما دار بينهم من هجاء وتقبيح، ومناظرات تنافسية أثيرت بين عشرات الشعراء الذي ظهروا في هذه الفترة، كما تنوعت الخطابة بين خطب سياسية ودينية وأخرى وعظية، وازدهرت ازدهارا عظيما، وكان من أهم روادها بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحجاج بن يوسف الثقفي وزياد بن أبيه وزيد بن الحسين بن علي وسحبان بن وائل وواصل بن عطاء، بحيث عكست خطبهم بتنوعها واختلاف مواضيعها الحياة العقلية والدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية لذلك العصر الذي شهد تحضرا للعرب واستقرارا في الأمصار ورقيا في الثقافة والعلم والتفكير العقلي وظهورا لطوائف فقهية وعقدية وفكرية وسياسية تميزت بكثرة الجدال والمناظرات.

وفي العصر العباسي اتسعت الملاحظات البلاغية نتيجة لتطور الفنون الأدبية من شعر ونثر، ولا أدل على ذلك من احتراف كثير من الفرس للغة العربية وبروزهم في الشعر والنثر، كابن المقفع (ت143هـ) من خلال ترجماته لكتب أدبية وفلسفية وتاريخية، من أهمها كتاب كليلة ودمنة الذي يفيض بلاغة وبيانا، وكتاب أرسطو طاليس، وكجعفر بن يحيى البرمكي كاتب الخليفة هارون الرشيد ووزيره، وقد كان معروفا بفصاحته وبلاغته، ومن الشعراء يبرز بشار بن برد ثم أبو نواس، فاستلم هؤلاء مشعل سابقيهم من الشعراء والأدباء، وحاولوا التجديد والإضافة.

وفي هذه الفترة ظهر مذهبان: مذهب يرى أصحابه ضرورة أن يقترب الشعر من لغة العامة، وهذا المذهب يمثله أبو العتاهية الشاعر، ومذهب يؤمن بالجزالة والضخامة واستخدام

---

[1] المرجع السابق، ص31.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط07، 1998م، ج02، ص17، 18.

[3] الشعر والشعراء، ص137، 138.

التشبيهات والاستعارات والمجازات والمقابلات والجناسات، وهذا يمثله الشاعر مسلم بن الوليد.

تطبيق:

ـ كيف كانت الملاحظات البلاغية في العصر الجاهلي ؟

ـ إلى أي مدى يتقاطع فن النقد مع علم البلاغة في العصر الجاهلي؟

ـ ما مدى تطور الأحكام البلاغية في العصر الأموي؟

المحاضرة الثالثة

البحث البلاغي: نشأته وتطوره (2)

تطور البحث البلاغي أكثر مع فئة المتكلمين واللغويين والنحاة، فالمتكلمون كانوا يعنون بفن الخطابة والمناظرة، وما يتصل بهذا الفن من بسط للحجج وأساليب للإقناع، وكانت مساجد البصرة والكوفة تزخر بهؤلاء المتكلمين ولا سيما في عصر بني أمية، نذكر منهم الحسن البصري من أهل السنة، وواصل بن عطاء المعتزلي، وكان لكل متكلم في المسجد تلاميذ يأخذون عنه ويتدربون على المناظرة والجدال.

وفي القرن الثالث للهجرة تظهر اهتمامات الجاحظ بالنكت والمسائل البلاغية من خلال كتابه "البيان والتبيين"، في أربعة مجلدات، حيث دوّن فيه الكثير من ملاحظات معاصريه وآرائهم، فمثلا ينقل في الكتاب كلام بشر بن المعتمر عن صفات الألفاظ والمعاني، ثم يقول: «وإياك والتوعر، فإن التوعر يُسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك. ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف»[1]، ويؤكد ضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال فيقول: «فكن في ثلاث منازل؛ فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت»[2]، كما يكثر من الحديث عن حسن الصياغة وكمال التركيب ودقة التأليف وجمال النظم، وفي كتابه "الحيوان" نجد الجاحظ يقرن التأليف وجودة التركيب بجمال اللفظ في قوله: «المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير »[3]، وأما البديع فقد تحدث الجاحظ عن الاستعارة والسجع وأسلوب الحكيم والازدواج، بإيراد نماذج عنها والتعليق عليها، دون أن يذكر تعريفات محددة عنها، ويُعتبر الجاحظ عند بعض النقاد والباحثين هو مؤسس علم البلاغة من خلال كتبه وخاصة كتابه البيان والتبيين.

وقد ساهم اللغويون بنصيب من تشكيل علم البلاغة، من خلال إيرادهم لكثير من الملاحظات البلاغية وتعليقاتهم على نصوص الشعر وآيات الذكر الحكيم، ومن أهم هؤلاء الأعلام ابن قتيبة (ت276هـ) من خلال كتابه "تأويل مشكل القرآن" والمبرد (ت 285هـ) من خلال كتابه "الكامل في اللغة والأدب" وثعلب (ت291هـ) من خلال كتابه "قواعد الشعر".

وأما الشعراء في هذه الفترة فبرز منهم البحتري وأبو تمام، حيث آثر الأول طريقة القدماء واقتفاء أثرهم، مع تأثر معتبر بالجديد، ووقف معه عامة المتكلمين وأصحاب البلاغة العربية الخالصة، في حين اهتم الثاني بالمبالغة في الصنعة اللفظية والإكثار من المحسنات البديعية، ووقف معه الفلاسفة والمجددون.

وهنا يظهر كتاب الخليفة العباسي ابن المعتز (ت 296هـ) في البلاغة حيث أسماه: "كتاب البديع"، وقسّم فيه البديع إلى خمسة أقسام: الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد العجز على

---

[1] البيان والتبيين، ج1، ص135.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص135.

[3] الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط02، 1965م، ج03، ص131، 132.

الصدر والمذهب الكلامي، ثم تكلم عن محاسن الكلام والشعر وجعلها ثلاثة عشر قسما ذكر منها الالتفات، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه، وتجاهل العارف، وحسن التضمين، والتعريض والكناية، ولزوم ما لا يلزم.

وبعد ذلك ظهرت دراسات وتصانيف بلاغية أخرى تجرد لها بعض المتكلمين والنقاد والمتأدبين، فمن المتكلمين أبو بكر الباقلاني (ت 403هـ) في كتابه "إعجاز القرآن" حيث أثبت فيه أن من إعجاز القرآن ما يتضمنه من وجوه بلاغية سماها وجوه البديع كالاستعارة والإرداف والمماثلة والجناس والمطابقة وغيرها، ومن النقاد ابن طباطبا (ت 320هـ) من خلال كتابه "عيار الشعر"، والآمدي (ت371 هـ) من خلال كتابه "الموازنة"، وعبد العزيز الجرجاني (ت 392هـ) من خلال "الوساطة"، ومن المتأدبين أبو هلال العسكري (ت395هـ) في كتابه "الصناعتين"، وأبو رشيق القيرواني (ت 463هـ) في كتابه "العمدة"، وابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) في "سر الفصاحة"، والرماني (ت 386هـ) في رسالته "النكت في إعجاز القرآن".

في القرن الخامس الهجري تطور التأليف في البلاغة العربية، وازدهرت الدراسات البلاغية في هذه الفترة ازدهارا عظيما على يد إمام البلاغة والإعجاز عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، إذ استطاع الجرجاني أن يضع نظريتي المعاني والبيان من خلال كتابه: "دلائل الإعجاز"، كما سمى علم المعاني باسم النظم، ونبّه «على أن المقصود من النظم ليس اتصال الألفاظ أو ترابطها وتتاليها من حيث هي حروف أو أصوات، وإنما هو تتالي معانيها واتساقها فيما بينها...وليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل »[1]، فما النظم إذن إلا ائتلاف الألفاظ ووضعها الموضع الذي يقتضيه معناها النحوي، وبهذا يريد الجرجاني أن يثبت أن إعجاز القرآن ليس في ألفاظه المفردة، وإنما يكمن في الأسلوب أو الصياغة أو النظم، ذلك مما تضمنه كتابه دلائل الإعجاز، أما كتاب أسرار البلاغة فقد حرر فيه الجرجاني نظرية البيان بما لم يسبقه غيره إليه، كما عالج في الكتاب إلى جانب الاستعارة والكناية والتمثيل بعضا من الفنون البديعية التي سميت فيما بعد بالمحسنات اللفظية كالسجع والجناس فيحللها تحليلا جماليا مع ربطها بالمعنى.

ويضاف إلى الدراسات البلاغية في هذه الفترة كتاب "الكشاف" للزمخشري (ت 538هـ)، إذ يُعدّ هذا التفسير تطبيقا عمليا بارعا لنظريتيْ المعاني والبيان على آي الذكر الحكيم، ولم يقف الزمخشري عند هذا الحدّ، وإنما مضى يكمل النظريتيْن، ويودع كتابه الكشاف أسرارهما ودقائقهما النفيسة، وعلى هذا النحو تكاملت النظريتان [2].

وبعد مرحلة الازدهار تأتي مرحلة الجمود والانحطاط، في الفترة الممتدة حتى القرن السادس الهجري، إذ أصبحت أعمال البلاغيين مجرد تكرار لما استنفذه السابقون من المعاني، فلا جديد في مباحثهم البلاغية، ولم تعدْ التصانيف في هذه المرحلة تعدو تكرارا للمضامين السابقة إما بالشرح أو الجمع أو التلخيص أو إعادة الترتيب، ومن أبرز هؤلاء البلاغيين فخر الدين الرازي (ت606هـ) صاحب كتاب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، والذي لخّص فيه كثيرا من مباحث كتابيْ الجرجاني: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ومن البلاغيين أيضا أبو يعقوب السكاكي (ت 626هـ) صاحب كتاب "مفتاح العلوم"، حيث قسم

---

[1] الموجز في علم البلاغة، ص91.

[2] يُنظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط09، (دت)، ص271.

علم البلاغة في الجزء الثالث من الكتاب إلى العلوم الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع، ويُعدّ هذا الكتاب من أهم الكتب التي بحثت في كافة فروع اللغة العربية، ومن البلاغيين في هذه الفترة الخطيب القزويني (ت 739هـ) صاحب كتاب "تلخيص المفتاح"، وهو تلخيص للجزء الثالث منه بالتحديد، جنح فيه القزويني إلى التبسيط والاختصار والتوضيح، ثم رأى القزويني أن التلخيص لا يفي بالغرض، فألف كتابه الثاني الذي أسماه: "الإيضاح في علوم البلاغة"، وهو كالشرح للتلخيص.

تطبيق:

ـ تكلم عن تطور البحث البلاغي في العصر العباسي

ـ ما أهمية كل من المصنفات التالية في تأسيس علم البلاغة:

الكامل للمبرد، البيان والتبيين للجاحظ، دلائل الإعجاز للجرجاني، مفتاح العلوم للسكاكي

ـ انسب الكتب البلاغية التالية لمؤلفيها:

إعجاز القرآن، أسرار البلاغة، الإيضاح في علوم البلاغة، سر الفصاحة، العمدة، الكشاف، عيار الشعر، كتاب الصناعتين، تأويل مشكل القرآن

المحاضرة الرابعة

فروع علم البلاغة

لقد أخذ البلاغيون ينحون بالبلاغة نحو الاستقلال والتخصص شيئا فشيئا، إلى أن استوت علما قائما بذاته، كما أخذت مباحث البلاغة في التبلور والتشكل هي الأخرى، حتى خلصت إلى ثلاثة فروع، علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع[1].

علم المعاني:

يعود الفضل في تقرير مسائل علم المعاني وشرح تفاصيله وتوسيع مباحثه إلى العالم الفذ عبد القاهر الجرجاني الذي استوعب هذا العلم من أطرافه، فلم يدع لمن جاؤوا بعده ما يضيفونه إليه أو ما يستدركونه عليه؛ لذلك كثرت الشروح والحواشي والاختصارات لكتابيْ الدلائل والأسرار إلى الدرجة التي أسلمت البلاغة نفسها إلى الجمود والتكرار.

ويُعرّف العلماء علم المعاني بأنه «أصول وقواعد يُعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له »[2]، وموضوع هذا العلم هو اللفظ من حيث إفادته الأغراض المقصودة من الكلام، وهي ما تسمى بالمعاني الثواني.

وأما الغرض من هذا العلم فهو الكشف عن أسرار البلاغة في القرآن الكريم، ومعرفة إعجازه من هذا الوجه، ومن جهة ما أودعه الله تعالى فيه من جودة السبك وحسن الوصف وبراعة التراكيب وسهولتها ولطف الإيجاز وجزالة الألفاظ وغير ذلك من محاسنه، بالإضافة إلى الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في كلام العرب منظومه ومنثوره.

علم البيان:

يرجع الفضل في تأسيس هذا العلم إلى عمرو بن بحر الجاحظ، الذي صنف كتابه المسمى:"البيان والتبيين"، وبالرغم من عدم اعتناء الجاحظ بالمصطلحات والحدود النظرية لهذا الفن، إلا أنه تناول فيه الكناية والاستعارة والمجاز والتشبيه مكتفيا بإيراد الشواهد عنها من الشعر والنثر.

إن الجاحظ في هذا الحقل المعرفي لم يكن هو من انفرد بهذه الجهود، بل كانت هناك جهود أخرى نجدها عند ابن قتيبة والرماني في النكت والباقلاني في إعجاز القرآن وغيرهم، وذلك قبل أن تنهض نهضة حقيقية عند عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة والزمخشري في الكشاف، ثم استسلامها بعد ذلك للقاعدة والقانون عند السكاكي في المفتاح والخطيب القزويني في التلخيص.

ويعرف العلماء علم البيان بأنه «أصول وقواعد يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى، ولا بد من اعتبار

[1] يُنظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2009م/1430هـ، ص25.
[2] جواهر البلاغة، ص46.

المطابقة لمقتضى الحال دائما »[1]، فهو إذن علم يُتمكّن به من إبراز المعنى بصور مختلفة ومتفاوتة في درجة الوضوح.

علم البديع:

اشتهر علم البديع في العصر العباسي كظاهرة شعرية انتدب لها الشعراء المولدون من أمثال بشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبي نواس، وهو ما دعا الخليفة العباسي ابن المعتز إلى تصنيف كتابه "كتاب البديع"، ثم جاء أبو تمام الذي مثّل هذا التيار وبالغ فيه.

ويعرفه الخطيب القزويني بقوله: «علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة »[2]، إذن فعلم البديع معنيّ بتتبع اللفظ وإيراده على نحو ينمّق به الكلام ويحسّنه، سواء من جهة اللفظ أو المعنى، وعلى ذلك فمحسّنات الكلام تنقسم إلى لفظية كالسجع والجناس وأخرى معنوية كالمطابقة.

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات وخصوصا اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسن إلا إذا طلبها المعنى ولم تطلبه، وجاءت عفوا دون تكلف أو تعسف.

ومن المحسنات المعنوية: التورية واللف والنشر والجمع والتفريق والتقسيم وحسن التعليل وتأكيد المدح أو الذم بما يشبه الذم أو المدح والإدماج وتجاهل العارف والمبالغة ومراعاة النظير والعكس والتبديل والمشاكلة والمطابقة والمذهب الكلامي وغيره.

ومن المحسنات اللفظية: الجناس والسجع ورد العجز على الصدر والقلب والتوشيح والتصريع ولزوم ما لا يلزم والانسجام وغيره.

تطبيق:

ـ عرف علم المعاني، وما المقصود بالمعاني الثواني؟

ـ ما مدى إسهام كل من الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني في وضع علم البيان وتأسيس أصوله ؟

ـ عرّف علم البيان، ووضّح بأمثلة.

ـ عرّف علم البديع، ومن أول من صنّف فيه ؟

ـ متى يكون المحسّن البديعي محسّنا للكلام فعلا ؟

[1] المرجع نفسه، ص216.

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، ص255.

المحاضرة الخامسة

البلاغة والأسلوبية

إن كلمة (أسلوب) قديمة في اللغة العربية، وقد وردت في مصنفات العرب اللغوية والمعجمية، ومنها لسان العرب لابن منظور حيث يقول: «ويقال للسطر من النخيل: أسلوب. وكل طريق ممتد، فهو أسلوب. قال: والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب؛ يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب. والأسلوب الطريق: تأخذ فيه. والأسلوب، بالضم: الفن؛ يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه »[1]، ويُعرّف الأسلوب في الاصطلاح الأدبي والنقدي بأنه النهج اللغوي الذي يشتقه الأديب لنفسه في خضم المادة اللغوية المتراكمة، فهو نسق معيّن ونظام، ومن الممكن أن يقال إن الأسلوب مذهب، ولكل مذهبه، تبين به طريقة صاحبه في التعبير، وتتميز شخصيته عن سواها.

أما الأسلوبية فيرجع الفضل في ظهورها إلى العالم اللغوي أبي اللسانيات الحديثة السويسري فرديناند دي سوسير (1857-1913)Ferdinand De Saussure، غير أن الفضل الأكبر ناله تلميذه شارل بالي (1865-1947) Charles Bally، وهو باحث لساني كان مختصا في السنسكريتية واليونانية، ولما استوعب المفاهيم التي جاء بها دي سوسير وتمثلها عكف على دراسة الأسلوب، فأرسى قواعد الأسلوبية المعاصرة ابتداءً من سنة 1902م.

إن الأسلوبية منهج يهدف إلى تحليل الخطاب الأدبي، والكشف عن أبرز معالمه ومميزاته الفنية والجمالية، كما أنها تسعى إلى تخليص النص من سياقاته الخارجية وشروطه الإبداعية، فهي تركز على عملية الإبداع والإفهام، ومن ثم تنتقل إلى أمر جوهري وهو التأثير في المتلقي، يقول ياكبسون في تعريف الأسلوبية: «إنها البحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا، وعن سائر الفنون الإنسانية ثانيا »، وهذا يحيل إلى ضرورة مقارنة النتاج الأدبي مع غيره، لتبيين ميزاته وخصائصه[2].

وتتحدد مقولات الأسلوبية في ثلاثة عناصر هي:

ـ **الاختيار**: إن لغة النص الأدبي هي لغة مميزة، وهذا التميز يبين لنا أن الكاتب أو الشاعر قد اختار من المعجم اللغوي مجموعة من الكلمات حتى يستطيع تكوين رسالته وإحداث الأثر المرجو منها، وبالتالي التواصل مع المتلقي والتأثير فيه، فلغة النص الإبداعي هي لغة مختارة بدقة وعناية، ولهذا أجمع الباحثون على أن الكتابة أو النظم قوامه اختيار المعجم الخاص لإحداث الأثر الفني.

[1] لسان العرب، مادة (سلب)، ج01، ص473.

[2] يُنظر: موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي، إربد، ط01، 2003م، ص12.

ـ التركيب: إن تركيب النص الإبداعي خاصة حين ثورته على النمط النحوي المعتاد الذي يحترم قانون النحو، وتكوينه لتركيب جديد غير مألوف لدى المتلقي هو الذي يبعث الدهشة والدَّش، فالتركيب أو التشكيل اللغوي هو المادة الحقيقية المشكلة لفن الأدب، ولذلك لا بد من بذل الجهد في التعرف على كيفية استخدام الأديب للغة.

ـ الانزياح: هو الخروج عن المألوف المعتاد في الكلام العادي بين الأفراد في المجتمع، والاتجاه نحو صيغة كلامية تبعث الإيحاء وتحث على التأويل، وبالتالي خلق التوتر والاستغراق في حالة التأثر ومحاولة الشرح، أو كما يسميه بعض الباحثين بـ:"مواطن الخروج على المستوى العام الذي عليه الاستعمال العادي للغة".

إن الانزياح ظاهرة أساسية محورية من ظواهر الأسلوبية، تقوم على الخروج عن المألوف والمعتاد، وتجاوز السائد والمتعارف عليه والعادي، وهو في الوقت نفسه إضافة جمالية يمارسها المبدع لنقل تجربته الشعورية للمتلقي والتأثير فيه؛ ولذلك لا يعد أي خروج عن المألوف وتجاوز للسائد وخرق للنظام انزياحا ما لم يحقق قيمة جمالية وتعبيرية، ومع أن مصطلح الانزياح مصطلح حديث إلا أن له جذورا تعود إلى البلاغة اليونانية، فقد كان أرسطو يميز بين اللغة المعروفة الشائعة وبين اللغة الغريبة غير المألوفة والتي تعد في نظر أرسطو هي اللغة الأدبية.

ولا تخلو البلاغة العربية القديمة من صور للانزياح اهتم بها البلاغيون، فبالرغم من أنهم لم يتواضعوا على هذا المصطلح إلا أنهم عرفوا الاستعارة ودرسوا التقديم والتأخير والمجاز، وكلها من أشكال الانزياح والخروج عن المألوف.

الفرق بين البلاغة والأسلوبية:

ويمكن تلخيص الفروق بين البلاغة والأسلوبية في العناصر التالية[1]:

ـ البلاغة علم لساني قديم، والأسلوبية علم لساني حديث، وهذا يحيل إلى الاختلاف في المنهج.

ـ البلاغة علم معياري يبحث في الصواب والخطأ، بينما تُعدّ الأسلوبية علما وصفيا.

ـ تقرر البلاغة ضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، بينما تقرر الأسلوبية تأثر نمط القول بالموقف.

ـ اتساع آفاق علم الأسلوب اتساعا كبيرا مقارنة بعلم البلاغة، فالأسلوبية تدرس الظواهر اللغوية جميعها، من أدنى مستوياتها وهو الصوت إلى أعلاها وهو المعنى.

[1] يُنظر: شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة مبارك العامة، مصر، ط02، 1992م، ص44 وما بعدها.

تطبيق:

ـ عرّف الأسلوبية، وإلى من يعود الفضل في تأسيسها؟

ـ ما هو المقصود بمصطلح "الانزياح"؟ اشرح بأمثلة.

ـ فيم تتمثل نقاط التقاطع بين البلاغة القديمة والأسلوبية الحديثة؟

ـ اذكر مقولات الأسلوبية مع الشرح.

ـ ما الفرق بين علم البلاغة وعلم الأسلوب؟

المحاضرة السادسة

الأسلوب الخبري وأضربه

جاء في حدّ الخبر أنه «ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب. فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا »[1]، والحق أن هذا التعريف للخبر ترجّح مع اختلاف بعض علماء البلاغة في اعتبار الصدق مطابقة للواقع أو مطابقة للاعتقاد.

وذهب بعض المعتزلة ومنهم النظام وتلميذه الجاحظ إلى أن الصدق هو مطابقة الخبر لاعتقاد المخبر، فإن خالف اعتقاده الواقع سُمّي الخبر خطأ لا كذبا، وهذا الأمر مبنيّ على أن من اعتقد خبرا ثم ظهر في الواقع خلاف ما اعتقد لم يُقل: كذب بل يقال: أخطأ، كما روي عن عائشة رضي الله عنها فيمن شأنه كذلك: (ما كذب ولكنه وهم) [2]، غير أن أكثر الجمهور على أنّ مطابقة الواقع من عدمه هي المؤشر على صدق الخبر من كذبه، فيُنظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى صاحب الكلام واعتقاده في نفسه.

أغراض الخبر:

الأغراض الأصلية: يُلقى الخبر في الأصل لأحد غرضين اثنين[3]:

1- فائدة الخبر: وهي إفادة المخاطَب بحكم يتضمنه الكلام وهو به جاهل، فيُراد إعلامه به، كقولك لأحدهم: كان الحجاج ظالما.

2- لازم الفائدة: وهو إفادة المخاطَب بأن المتكلم عالم بالحكم الذي يتضمنه الكلام، كقولك لرجل: أنت أحسنت تربية ولدك.

وهنا ملاحظة هي أن لازم الفائدة يكثر في مواضع المدح والذّمّ، مما يكون فيه المتكلم قاصدا أنه يَعْلم الخبر ولا يقصد أن يخبر به.

الأغراض البلاغية الأخرى للخبر:

قد يُلقى الخبر لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام، كالاسترحام وإظهار الخضوع أوالخشوع أوالضعف أوالعجز أو الحسرة أو الحزن، وكالتوبيخ والتأنيب والتذكير والتهديد والوعيد وغيرها مما يُستنتج من السياق وقرائن الأحوال، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى على لسان زكرياء عليه السلام: (رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا) فهذا خبر غرضه إظهار الضعف والعجز، ومن أمثلته قول الشاعر: فمالي حيلة إلا رجائي/ لعفوك إن عفوت وحسن ظني فهذا غرضه الاسترحام والاستعطاف، ومن ذلك قول الفرزدق: ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا/ وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا وغرضه الفخر، ومن ذلك قول المتنبي: أرى كل ذي ملك إليك مصيره/ كأنك بحر والملوك جداول، إذا مطرت منهم ومنك سحائب/ فوابلهم طل وطلك وابل وغرضه المدح.

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، ص46.

[2] يُنظر: المصدر نفسه، ص25.

[3] يُنظر: جواهر البلاغة، ص55.

ركنا الجملة: لكل جملة من جمل الخبر ركنان أساسيان هما: المسند والمسند إليه، فالمسند محكوم به، والمسند إليه محكوم عليه، والنسبة بينهما تُسمى إسنادا، وحدّ الإسناد: «انضمام كلمة "المسند" إلى أخرى "المسند إليه" على وجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتا أو نفيا»[1] كقولنا: الشمس مشرقة، فالشمس مسند إليه أو محكوم عليه، ومشرقة مسند أو محكوم به، وكقولنا: سافر الأب، فالأب مسند وسافر مسند إليه. وأما ما زاد في جملة الخبر عن هذين الركنيْن فيُسمى قيدا، إلا المضاف إليه وصلة الموصول، ومن قيود الجملة: المفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز، والأفعال الناسخة، وأدوات الشرط والنفي، والتوابع الأربعة[2].

أضرب الخبر:

المعتبر في تحديد هذه الأضرب هو المخاطَب، وحيث كانت البلاغة هي الإفصاح عن الكلام وإظهاره وإبلاغ المعنى للمخاطب فقد وجب على المتكلم أن يراعيَ ظروف المخاطب وأحواله، فالمخاطَب بين حالات ثلاث[3] :

1- إما أن يكون خاليَ الذهن من الحكم، فلا يؤكد له الكلام؛ لسهولة تقبله له، ولعدم حاجته إلى التأكيد، مثل: زيد قائم، وخالد نائم، وما فلان بظالم...

ويسمى هذا الضرب من الخبر **ابتدائيا**.

2- وإما أن يكون مترددا في الحكم يطلب معرفته، ويريد اليقين بشأنه، فيكون من الأفضل تأكيد الكلام له؛ ليزول تردده، ويذهب شكّه، وحتى يتقوى الحكم ويتمكن من نفسه، ولأن المخاطب يطلب التمكن والاقتناع فقد سُمّي هذا النوع من الخبر **طلبيا**، نحو: إن أبا بكر عائد.

3- وإما أن يكون منكرا للحكم الذي عند المتكلم، ويعتقد خلافه، فينبغي هنا التأكيد له بمؤكد أو أكثر حسب درجة إنكاره، فتكثر المؤكدات كلما قوي الإنكار، وتقل كلما ضعف، نحو: إن أباك قائم، وإنه لقائم، ووالله إنه لقائم.

ولأن المخاطَب منكر للحكم هنا فقد سُمّي هذا الضرب من الخبر **إنكاريا**.

ملاحظة: مؤكدات الخبر كثيرة، إنّ وأنّ، ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، ونونا التوكيد الخفيفة والثقيلة، والتكرير، وأما الشرطية، وضمير الفصل، وقد، وغيرها.

تطبيق: استخرج ضرب الخبر في كل من العبارات التالية:

(إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين)، لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى/ حتى يراق على جوانبه الدم، ألا كل شيء ما خلا الله باطل، (إن ربي لسميع الدعاء)، (تبت يدا أبي لهب)، (تالله لأكيدنّ أصنامكم)، (اقتربت الساعة)، (ألا إن نصر الله قريب).

---

[1] المصدر السابق، ص49.

[2] يُنظر: علم المعاني، ص48، 49.

[3] يُنظر: جواهر البلاغة، ص57.

المحاضرة السابعة

الأسلوب الإنشائي وأضربه

الأسلوب الإنشائي هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، فلا يقال عن صاحبه صادق ولا كاذب؛ «وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه »[1]، وحكمنا على الأسلوب الإنشائي بأنه لا يحتمل صدقا ولا كذبا إنما هو باعتبار الأسلوب نفسه لا ما يستلزمه أو يقتضيه، فالنداء: يا فلان، لا يحتمل صدقا ولا كذبا، ولكن لازمه خبر تقديره: أنا منادٍ فلانا، فليس المقصود بذلك إلا الأسلوب نفسه.

أضرب الإنشاء:

الإنشاء ضربان: طلبي وغير طلبي، فأما غير الطلبي [2] فهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وهو في أغلبه يضم أخبارا نُقلت إلى معنى الإنشاء، ومن ذلك:

ـ صيغ المدح والذّمّ، كنعم وبئس وحبذا ولا حبذا، وغيرها.

ـ صيغ العقود التي ترد أكثر ما ترد فعلا ماضيا، نحو: بعت واشتريت ووهبت..

ـ القسم: نحو: لعمرك ما فعلت كذا..

ـ التعجب: يكون بصيغتين: ما أفعله، أفعل به، وغيرهما نحو: لله درّك!

ـ الرجاء: يكون بعسى، حرى، اخلولق، نحو: (عسى الله أن يأتي بالفتح)

وأما الإنشاء الطلبي فهو «ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل »[3]، وعن أقسامه يقول صاحب الجوهر المكنون[4]:

والطلب: استدعاء ما لم يحصل/ أقسامه كثيرة ستنجلي

أمر ونهي ودعاء وندا / تمنٍّ استفهام ، اوتيت الهدى، فهي ستة، إلا أنهم أدخلوا الدعاء في الأمر والنهي، فأصبحت خمسة أقسام كما يلي:

1ـ الأمر: هو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله أربع صيغ:

ـ فعل الأمر نحو (خذ من أموالهم صدقة)

ـ المضارع المجزوم بلام الأمر: نحو (ولتكن منك أمة يدعون إلى الخير)

ـ اسم فعل الأمر، نحو: هاك، بله، عليكم في (عليكم أنفسكم) أي الزموا، ونحو: رويد بمعنى تمهل

ـ المصدر النائب عن فعل الأمر: نحو(وبالوالدين إحسانا)، (فضرب الرقاب)، (فصبرا في مجال الموت صبرا)

وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقيّ إلى معنى آخر يُستفاد من السياق والقرائن، كالدعاء الذي هو أمر لا على وجه الاستعلاء، مثل: (رب اغفر لي وهب لي ملكا)، وكالالتماس الذي هو أمر صادر عن ندّ لندّه مساو له في القدر والمكانة، نحو: قفا نبك، وكالتعجيز في

---

[1] علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص69.

[2] يُنظر: جواهر البلاغة، ص69 وما بعدها.

[3] الإيضاح في علوم البلاغة، ص108.

[4] عبد الرحمان الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، تح: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، (د ت)، ص31.

قوله تعالى: (فأتوا بسورة من مثله)، وكالتحقير والإهانة نحو: (كونوا حجارة أو حديدا)، وكالنصح والإرشاد نحو (واغضض من صوتك)، وكالإباحة نحو (كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)، وكالتهديد نحو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

2- النهي: هو طلب الكف والامتناع عن الفعل،على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة، هي الفعل المضارع المقترن بـ لا الناهية.

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي ليدل على معنى آخر يفيده السياق، كالدعاء في (لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)، وكالالتماس نحو (يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي)، وكالنصح نحو (ولا تجلس إلى أهل الدنايا/ فإن خلائق السفهاء تعدي)، وكالتحقير نحو (لا تطلب المجد واقنع/ فمطلب المجد صعب).

3- الاستفهام[1]: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، باستعمال إحدى أدواته، وهي: الهمزة، وهل، وما، ومن، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأيّ.

فالهمزة إما أن يُطلب بها التصور وهو إدراك المفرد، وفي هذه الحال يأتي المسؤول عنه بعد الهمزة مباشرة، مع معادل له في الغالب، نحو قولنا: (أكاتب أنت أم شاعر؟) وإما أن يطلب بها التصديق وهو إدراك النسبة، وفي هذه الحال يمتنع المعادل، كقولنا: (أينزل الثلج في الصحراء؟)

وأما هل فيُطلب بها التصديق لا غير ، وأما بقية الأدوات فيُطلب بها التصور، فمن للعقلاء، وما لشرح الاسم أو ماهية المسمى، ومتى لتعيين الزمان، وأيان لتعيين الزمان المستقبل خاصة، وكيف لتعيين الحال، وأين لتعيين المكان، وأنى بمعنى كيف أو بمعان أخر، وكم لتعيين العدد، وأيّ لتعيين أحد المتشاركين.

هذا وقد يخرج الاستفهام لمعان أخر على سبيل المجاز، كالنفي في (فمن يهدي من أضل الله؟) و(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟) و(أفأنت تنقذ من في النار؟)، وكالتعجب في (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟) و(أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم؟)، وكالتشويق في (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟)، وكالتمني في (هل إلى مرد من سبيل؟)، وكالتقرير في (ألم نشرح لك صدرك؟) و(ألم نربك فينا وليدا؟)، وكالتحقير في (أهذا الذي بعث الله رسولا؟)، وكالاستبطاء في (متى نصر الله؟)، وكالإنكار في (أيحسب الإنسان أن يترك سدى؟) و(أتتخذ أصناما آلهة؟) و(أتعبدون ما تنحتون؟)، وقد يخرج الاستفهام إلى الأمر، كقوله (فهل أنتم مسلمون؟) أي أسلموا، و(فهل أنتم منتهون؟) أي انتهوا، و(أرأيت الذي يكذب بالدين؟) أي أخبرني

4- التمني: هو «طلب الشيء المحبوب الذي يُرجى حصوله إما لكونه مستحيلا...وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله »[2]، فالأول مثل: (ألا ليت الشباب يعود يوما)، والثاني مثل: (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون)، وأدوات التمني غير ليت: هل ولعل، وغرضهما البلاغي

[1] يُنظر: علم المعاني، ص88 وما بعدها.
[2] جواهر البلاغة، ص87.

هو«إبراز المتمنى المستحيل وإظهاره في صورة الممكن القريب الحصول، لكمال العناية به والشوق إليه »[1]، نحو: (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا؟) و(ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب).

وهناك "لو"، وغرضها البلاغي «الإشعار بعزة المتمنى وقدرته»[2]، ومثاله: (فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين)

5- النداء: هو «طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمانية: الهمزة، وأي، ويا، وآ، وآيْ، وأيا، وهيا، ووا »[3]، والهمزة وأيْ لنداء القريب وسائر الأدوات لنداء البعيد.

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من السياق، كالتحسر في قول ابن الرومي: يا شبابي، وأين مني شبابي/ آذنتني حباله بانقضاب، و(قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها)، وكالزجر كقول الشاعر: إلام يا قلب تستبقي مودتهم/ وقد أذاقوك الوانا من الوصب، وكالدعاء في يا رب رحمتك، وكالإهانة والتحقير في (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون)، وكالتعجب في يا لجمال الربيع!، وكالندبة في: واإسلاماه !.

تطبيق: بيّن نوع الإنشاء واذكر المعنى المستفاد منه في كل مما يلي:

- اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا (أمر: دعاء) - لا تطمحنّ إلى المراتب قبل أن/ تتكامل الأدوات والأسباب (نهي: إرشاد) - أروني بخيلا طال عمرا ببخله/ وهاتوا كريما مات من كثرة البذل (أمر: تعجيز) - (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه؟) (استفهام: نفي) - لا تنه عن خلق وتأتي مثله (نهي: توبيخ) - (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين؟) (استفهام: استبعاد) - دع المكارم لا ترحل لبغيتها (أمر: تحقير) - اصبروا أو لا تصبروا (أمر: تسوية) - ذق إنك أنت العزيز الكريم (أمر: تهكم) - يا أبا القاسم الذي كنت أرجوه/ لدهري: قطعت حبل الرجاء (نداء: تحسر) - (ذرني ومن خلقت وحيدا) (أمر: تهديد) - (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) (نهي: تيئيس) - (أسمع بهم وأبصر) (أمر: تعجب) - (مالي لا أرى الهدهد) (استفهام: تعجب) - أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم (أمر: إرشاد) - أبنت الدهر عندي كل بنت/ فكيف وصلت أنت من الزحام؟ (استفهام: تعجب) - (ألم يجدك يتيما فآوى) (استفهام: تقرير) - (اعملوا ما شئتم) (أمر: تهديد) - (هل أدلك على شجرة الخلد) (استفهام: تشويق) - اختلاف النهار والليل ينسي/ اذكرا لي الصبا وأيام أنسي (أمر: التماس) - (هل إلى مرد من سبيل؟) (استفهام: تمني)

[1] علم المعاني، ص113.
[2] المرجع نفسه، ص113.
[3] جواهر البلاغة، ص89.

المحاضرة الثامنة

التقديم والتأخير

لكل كلمة في الجملة موقع معين، وقد يتغير هذا الموقع تبعا لدرجة أهمّيّته عند المتكلم، فيحقق التغير حينئذ غرضا بلاغيا يكسب الكلام حسنا وجمالا [1]، وكل تقديم في الجملة لأحد ركنيها يصحبه تأخير ولا شك للركن الآخر، وهو لا يرد اعتباطا، بل يكون عملا مقصودا وصورة صادقة عن شعور المتكلم.

وتتمثل الأغراض البلاغية عند علماء البلاغة فيما يلي[2]:

أولا: تقديم المسند إليه أو تأخيره:

1- التشويق إلى متأخر إذا كان المتقدم مُشعرا بغرابة، نحو قول أبي العلاء: والذي حارت البرية فيه/ حيوانٌ مستحدث من جماد

2- التعجيل بالمسرة للتفاؤل أو المساءة للتشاؤم، فالأول كأن نقول: الجائزة الأولى في المسابقة من نصيبك، والثاني كقولنا: القصاص حكم به القاضي

3- كون المتقدم محط إنكار وتعجب، كقوله تعالى: (قال: أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟)

4- النص على عموم السلب أو سلب العموم: فالأول يعني شمول النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه، بتقديم أداة من أدوات العموم عادة على أداة نفي، كقولنا: كل قوي لا يُهزم، من يظلم الناس لا ينجح، والثاني يرد عادةً بتأخير أداة العموم على أداة النفي، فلا يكون النفي عاما لكل الأفراد، بل يفيد ثبوت الحكم لبعضهم دون بعض، كقول المتنبي: ما كل ما يتمنى المرء يدركه، والمعنى أن المرء لا يدرك كل أمانيه، بل يدرك بعضها فقط.

5- تقوية الحكم وتقريره: كقولنا عن شخص: هو يعطي الجزيل، فالغرض هنا بتقديم المسند إليه (هو) هو تقرير فعل إعطاء الجزيل في ذهن السامع وتحقيقه وتقويته، مع تكرار الضمير مستترا في (يعطي)، ومن ذلك قوله تعالى: (والذين هم بربهم لا يشركون)

6- التخصيص: يعني أن المسند إليه قد يقدم لتخصيصه بالخبر الفعلي شريطة أن يسبقه حرف نفي، كقول الشاعر: وما أنا أسقمت جسمي به/ ولا أنا أضرمت في القلب نارا، فالسقم والإضرام كلاهما موجود، ولكن قصرهما وتخصيصهما بالمسند إليه المتقدم (أنا) قُصد به نفي كون المتكلم هو السبب في الإسقام والإضرام وإثباته لغيره، كالحبيب مثلا.

[1] يُنظر: محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط 01، 2003م، ص334.
[2] يُنظر: علم المعاني لعبد العزيز عتيق، ص136.

7ـ التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت: هذا خاص بتقديم الخبر المسند على المبتدأ المسند إليه، كقوله تعالى: (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)، فلو قال: (مستقر لكم) لتوُهِّم أن (لكم) نعت لحاجة النكرة إلى النعت، وأن هناك خبرا متوقّعا لهذا المبتدأ، فيتقدم المسند (لكم) للتنبيه على أنه هو الخبر.

على أن هناك من يضيف إلى ما سبق أغراضا أخرى منها التلذذ والتبرك والتفاؤل والتعجب والمساءة والتعظيم والمدح ونحو ذلك [1]، يتقدم فيها المسند إليه أو يتأخر، وتُستفاد هذه الأغراض من سياق الكلام، على أن تقديم المسند إليه إنما يعود في أكثر حالاته إلى درجة الاهتمام به، وكثير من تلك الأغراض يجمعها هذا الاهتمام.

ثانيا: تقديم متعلقات الفعل عليه:

الأصل أن يتقدم العامل على المعمول، فإذا تقدم المعمول فإنما يكون ذلك لغرض بلاغي، ومن ذلك التخصيص بتقديم المفعول على الفعل في مثل قولنا: (محمدا أكرمت) فإن تقديم (محمدا) فيه تخصيص له بالإكرام دون غيره، ومن ذلك تقديم الجار والمجرور على الفعل، كقوله تعالى: (وإلى الله ترجع الأمور)، فهذا التقديم يدل على أن مرجع الأمور إلى الله وحده لا إلى غيره سبحانه، ومن ذلك تقديم الحال على الفعل في مثل قولنا: (مبكرا خرجت إلى عملي)، فإن في هذا التقديم تخصيصا لحالة التبكير بالخروج دون غيرها.

يرى علماء البلاغة ومنهم الزمخشري أن الغرض من تقديم متعلقات الفعل عليه إنما يكون للاختصاص، بينما يرى ابن الأثير أنه يكون لأحد غرضين: التخصيص أو مراعاة نظم الكلام، ومن الأمثلة على غرض مراعاة النظم قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)، فقُدّم المفعول لمكان النظم ومراعاة الفاصلة، ولكن لا يمنع أن يكون الغرضان معا هما سبب التقديم في هذه الآية، وأما قوله تعالى: (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه)، فتقديم المفعول ليس هنا للاختصاص، وإنما هو لمراعاة النظم والتناسب، ونظير هذا قوله تعالى: (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)، فليس التقديم هنا للاختصاص وإنما لمراعاة النظم، ومنه أيضا: (فأما اليتيم فلا تقهر).

تطبيق:

بيّن أسباب التقديم والتأخير فيما يلي:

ـ ما كل ما فوق البسيطة كافيا/ فإذا قنعت فبعض شيء كاف (سلب العموم)

ـ ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها/ شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر (التشويق إلى متأخر)

ـ (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (تقديم المفعول به للتخصيص)

[1] يُنظر: جواهر البلاغة، ص136 وما بعدها.

ـ بك اقتدت الأيام في حسناتها/ وشيمتها لولاك همّ وتكريب (تقديم الجار والمجرور للاختصاص)

ـ فكيف وكل ليس يعدو حمامه/ وما لامرئ عما قضى الله مزحل (عموم السلب)

ـ إذا شئت يوما أن تسود عشيرة/ فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم (تقديم الجار والمجرور للتخصيص)

ـ جميع العقلاء لا يسعون في الشر (عموم السلب وشمول النفي)

ـ (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) تقديم الجار والمجرور للتخصيص

ـ أبو لهب فعل كذا (تقوية الحكم)

ـ براءة المتهم حكم بها القاضي (التعجيل بالمسرة)

ـ أمثلي تقبل الأقوال فيه/ ومثلك يستمر عليه كذب (المتقدم محط إنكار وتعجب)

ـ (لله ملك السماوات والأرض) (تأخير المسند إليه لقصره على المسند)

ـ له راحة لو أن معشار جودها/ على البر كان البر أندى من البحر (التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت)

المحاضرة التاسعة

الفصل والوصل

هذا الموضوع يعنى بالعلم بمواقع الجمل، وإدراك مواضع استعمال حروف العطف أو عدم استعمالها، وهو موضوع صعب المسلك، عظيم الخطر، لا يوفَّق فيه إلا من أوتي حظا من المعرفة بأسرار اللغة ومحاسنها، وطُبع على ذوق في البلاغة وحسن البيان، إلا أنه غزير الفائدة، لدرجة أن بعض العلماء حصر مفهوم البلاغة فيه، فقال حين سئل عنها: (هي معرفة الفصل والوصل).

والوصل هو العطف بالواو لجملة على أخرى، والفصل هو ترك هذا العطف [1]، وتخصيص الواو لأن العطف بها يحتاج «إلى لطف في الفهم، ودقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلا مجرد الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم ـ بخلاف العطف بغيرها فيفيد مع التشريك معاني أخرى»[2]، وشرط العطف أن يكون بين المعطوفين جامع، فلا نقول مثلا: خليل قادم، وسعيد قصير.

مواضع الوصل: يجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع[3]:

ـ إذا كانت الجملتان متحدتيْن في الخبر والإنشاء، لفظا ومعنى، أو معنى فقط، كقوله تعالى: (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم)، فهما متحدتان في الخبر لفظا ومعنى، وكقوله: (وكلوا واشربوا)، فهما متحدتان في الإنشاء لفظا ومعنى، وكقوله: (إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون)، فالأولى خبرية، والثانية إنشائية لفظا خبرية معنى، وتقديرها: وأشهدكم، وكقولنا: اذهب إلى فلان وتقول له كذا، فالأولى إنشائية، والثانية خبرية لفظا لكنها إنشائية معنى، وتقديرها: اذهب إلى فلان وقل له كذا.

ـ إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاءً، وأوهم الفصل خلاف المقصود، ومثاله: لا وشفاه الله، جوابا عن سؤال: هل برئ فلان من مرضه؟، فالجملة بعد (لا) خبرية محذوفة، وجملة (شفاه الله) خبرية لفظا إنشائية معنى، وترك الواو في الجواب يوهم السامع الدعاء على المريض لا الدعاء له، لذا وجب الوصل، والجملتان لا محل لهما من الإعراب.

ـ إذا قصد إشراك الجملتين في المحل الإعرابي، أي إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب وقُصد تشريك الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع، كقول المتنبي: وللسّرّ مني موضع لا يناله/ نديم ولا يفضي إليه شراب، فكلا الجملتين (لا يناله، لا يفضي) في محل رفع نعت، ولذا تم الوصل بينهما.

---

[1] يُنظر: علوم البلاغة، ص347.
[2] جواهر البلاغة، ص180.
[3] يُنظر: علوم البلاغة، ص347 وما بعدها.

كما يُستحسن أن تُعطف الاسمية على الاسمية، والفعلية على الفعلية، إنْ ماضوية وإنْ مضارعية، ولا يُعدل عن ذلك إلا لأغراض، ككحكاية الحال الماضية واستحضار الصورة الغريبة في الذهن في قوله تعالى: (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) و(ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)، وهكذا[1].

مواضع الفصل: يقع في خمسة مواضع[2]:

ـ كمال الاتصال: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي، فتكون الثانية إما توكيدا للأولى، كقوله تعالى: (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا)، وإما بدلا منها، كقوله تعالى: (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين)، وإما بيانا لها، كقوله تعالى: (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم)

ـ كمال الانقطاع: أن يكون بين الجملتين تباين تام، كأن تكون إحداهما خبرية والأخرى إنشائية، ومثاله: (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)، أوتكونا مختلفتين معنى من حيث الخبر والإنشاء، نحو: نجح خالد وفقه الله، فالثانية إنشائية معنى، أو لا يكون بين الجملتين مناسبة ولا ارتباط في المعنى، ومثاله: وإنما المرء بأصغريه/ كل امرئ رهن بما لديه

ـ شبه كمال الاتصال: هو أن تكون الجملة الثانية شديدة الارتباط بالأولى، بمثابة جواب عن سؤال تضمنته الأولى، كقوله تعالى: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء)، كأن الثانية جواب عن سؤال: هل النفس أمارة بالسوء؟، وكقول الشاعر: زعم العواذل أنني في غمرة/ صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي، فجملة (صدقوا) كأنها جواب عن سؤال: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟

ـ شبه كمال الانقطاع: هو أن تكون الجملة مسبوقة بجملتين يصح عطفها على الأولى منهما لوجود المناسبة، لكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى، فيترك العطف دفعا لتوهم العطف على الثانية، كقول الشاعر: وتظن سلمى أنني أبغي بها/ بدلا أراها في الضلال تهيم، فجملة (أراها) يصح عطفها على (تظن)، لكن لا يصح عطفها على (أبغي) حتى لا تكون (أراها) من مظنونات سلمى، فيمتنع العطف لأجل ذلك.

ـ التوسط بين الكمالين: هو أن تكون رابطة قوية بين جملتين متناسبتين، لكن يمنع من الوصل عدم قصد التشريك في الحكم، كقوله تعالى: (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم)، فجملة (الله يستهزئ بهم) فصلت عن (إنا معكم)، حتى لا تدخل معها في الحكم الإعرابي.

تطبيق: بين مواضع الفصل والوصل فيما يأتي واذكر السبب:

[1] يُنظر: جواهر البلاغة، ص182.
[2] يُنظر: علوم البلاغة، ص352 وما بعدها.

ـ (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) (فصل: كمال الاتصال: بيان)

ـ (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) (وصل: متحدتان في كونهما إنشائيتين لفظا ومعنى)

ـ (اشكر الله على السراء ينجيك من الضراء) (فصل: كمال الانقطاع: الأولى إنشائية لفظا ومعنى والثانية عكسها)

ـ (اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده) (فصل: كمال الاتصال: تأكيد)

ـ (ديارهم انتزعناها انتزاعا/ وأرضهم اغتصبناها اغتصابا) (وصل: متحدتان خبرا ومتناسبتان في المعنى)

ـ (أنت حميد الخصال، تصنع المعروف وتغيث الملهوف) (فصل: كمال الاتصال: بيان)

ـ (اخط مع الدهر إذا ما خطا/ واجر مع الدهر كما يجري) (وصل: متفقتان إنشاءً مع وجود المناسبة وعدم المانع)

ـ (لا تدعه إن كنت تنصف نائبا/ هو في الحقيقة نائم لا نائب) (فصل: كمال انقطاع، مختلفتان خبرا وإنشاء)

ـ (وترى الجبال تحسبها جامدة) (فصل: كمال اتصال: الثانية بدل اشتمال من الأولى)

ـ (يرى البخيل سبيل المال واحدة/ إن الكريم يرى في ماله سبلا) (فصل: شبه كمال انقطاع: الثانية جواب عن سؤال تتضمنه الأولى تقديره: فما حال الكريم؟)

ـ (يدبر الأمر يفصل الآيات) (فصل: كمال اتصال: بدل بعض من كل)

ـ (فليتك تحلو والحياة مريرة/ وليتك ترضى والأنام غضاب) (وصل: متحدتان إنشاء ومتناسبتان في المعنى)

ـ (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (فصل: كمال اتصال: توكيد معنوي)

ـ (قالوا سلاما قال سلام) (فصل: شبه كمال اتصال: الثانية جواب عن سؤال تتضمنه الأولى، تقديره: فماذا قال لهم؟)

ـ (لا وحفظك الله، كجواب عن سؤال: ألك حاجة أقضيها؟) (وصل: جملتان مختلفتان خبرا وإنشاء، فكان ذلك يقتضي الفصل، لكن الفصل يوهم خلاف المقصود، فوجب الوصل)

ـ (وما الدهر إلا من رواة قصائدي/ إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا) (فصل: اتحاد تام في المعنى ـ كمال اتصال ـ الثانية توكيد للأولى)

ـ (كفى زاجرا للمرء أيام دهره/ تروح له بالواعظات وتغتدي) (فصل: اتحاد تام في المعنى ـ كمال اتصال ـ الثانية بيان للأولى)

ـ (لست مستمطرا لقبرك غيثا/ كيف يظما وقد تضمن بحرا) (فصل: كمال انقطاع، تباين تام من حيث الخبر والإنشاء)

ـ (السماء ممطرة، علي يغدو إلى عمله مبكرا) (فصل: كمال انقطاع، عدم وجود المناسبة)

ـ (أنت أيقظتني وأطلعت عيني) (وصل: قُصد تشريك الجملة في الحكم الإعرابي)

المحاضرة العاشرة

التشبيه

يعرّفه القزويني بأنه «الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى »[1]، بأدوات معلومة، وأركانه: مشبه ومشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه التي قد تكون حرفا كالكاف أو كأن أو تكون اسما كـ: مثل، شبه، أو تكون فعلا كحاكى وضارع وشابه وما في معناها.

ويُقسم طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) إلى[2]:

ـ طرفين حسّيّيْن أي يدركان بالحواس كتشبيه الخد بالورد في المبصرات، وصوت المغني بالتغريد في المسموعات، وتشبيه الريق بالشهد في المذوقات، وتشبيه أنفاس الطفل بعطر الزهر في المشمومات، وتشبيه الجسم الناعم بالحرير في الملموسات.

ـ طرفين عقليّيْن أي يدركان بالعقل والوجدان كتشبيه العلم بالحياة

ـ طرفين مختلفيْن أحدهما حسي والآخر عقلي، كتشبيه المنية بالسبع.

أقسام التشبيه[3]:

يقسم التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشبه إلى:

ـ التشبيه المرسل: هو كل تشبيه ذكرت فيه أداة التشبيه، كقول الشاعر: أنا كالماء إن رضيت صفاء/ وإذا ما سخطت كنت لهيبا، أو كقول ابن الرومي: فكأن لذة صوته ودبيبها/ سنة تمشى في مفاصل نعّس

ـ التشبيه المؤكد: هو كل تشبيه حذفت منه الأداة، كقول الشاعر: أنت نجم في رفعة وضياء/ تجتليك العيون شرقا وغربا، وكقولنا: الجواد في السرعة برق خاطف

ـ التشبيه المجمل: هو ما حذف منه وجه الشبه، كقول ابن المعتز: وكأن الشمس المنيرة دينار/ جلته حدائد الضراب، أي في الاصفرار والبريق

ـ التشبيه المفصل: هو ما يذكر فيه وجه الشبه، كقولنا: سرنا في ليل بهيم كأنه البحر ظلاما وإرهابا

ـ التشبيه البليغ: هو ما يحذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه معا، كقول المتنبي: أين أزمعت أيهذا الهمام؟/ نحن نبت الربا وأنت الغمام

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، ص164.
[2] يُنظر: علوم البلاغة، ص149 وما بعدها.
[3] يُنظر: علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، ص23 وما بعدها.

التشبيه التمثيلي:

هو تشبيه يكون فيه وجه الشبه غير مفرد، بل صورة منتزعة من متعدد، وما لم يكن فيه وجه الشبه كذلك فهو غير تمثيلي، ومثاله قول المتنبي: يهز الجيش حولك جانبيه/ كما نفضت جناحيها العقاب، فقد شبه المتنبي صورة جانبي الجيش وسيف الدولة بينهما، وما فيهما من حركة واضطراب بصورة عقاب تنفض جناحيها، ومن أمثلته قول الآخر: وكأن الهلال نون لجين/ غرقت في صحيفة زرقاء

التشبيه الضمني:

هو تشبيه غير مصرّح به في صورة من صوره المعروفة، يجنح به صاحبه إلى الابتكار والرغبة في إخفائه، وإقامةً الدليل على الحكم الذي أسنده إلى المشبه، ومثاله قول ابن الرومي: قد يشيب الفتى وليس عجيبا/ أن يرى النَّوْر في القضيب الرطيب، فهو لم يأت بتشبيه صريح، وإنما لمّح إلى أن الفتى حين يشيب كالغصن الغض حين يكسوه الزهر الأبيض، أتى بهذا التشبيه ضمنا، ومن أمثلته أيضا قول المتنبي: من يهن يسهل الهوان عليه/ ما لجرح بميت إيلام

التشبيه المقلوب:

هو قلب المشبه مشبها به، بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، ومن أمثلته قول الشاعر: وبدا الصباح كأن غرته/ وجه الخليفة حين يمتدح، وقول الآخر: أحن لهم ودونهمو فلاة/ كأن فسيحها صدر الحليم

بلاغة التشبيه:

تتمثل بلاغة التشبيه في الانتقال من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة بارعة تمثله، ويستمد التشبيه روعته بمقدار البعد في ذاك الانتقال وقلة خطوره على البال، وبمدى امتزاجه بالخيال، ولذلك فأقل التشبيهات بلاغة هو ما ذكرت فيه أركانه كلها، لوضوح المشابهة وخلوها من الخيال، وأقوى أضرب التشبيه بلاغة هو التشبيه البليغ؛ لأنه مبني على ادّعاء أن المشبه هو عين المشبه به[1].

تطبيق: اذكر نوع التشبيه في كل مما يلي:

ـ اشتريت ثوبا أحمر كالورد (مرسل مفصل)

ـ كم نعمة مرت بنا وكأنها/ فرس يهرول أو نسيم سار (مرسل مجمل)

ـ ليل وبدر وغصن/ شعر ووجه وقد (بليغ مجمل)

[1] ينظر: جواهر البلاغة، ص245.

ـ إذا نلت منك الود فالكل هين/ وكل الذي فوق التراب تراب (بليغ)

ـ زرنا حديقة كأنها الفردوس في الجمال والبهاء (مرسل مفصل: ذكرت الأداة ووجه الشبه)

ـ العالم سراج أمته في الهداية وتبديد الظلام (مؤكد مفصل: حذفت الأداة وذكر وجه الشبه)

ـ سيذكرني قومي إذا جد جدهم/ وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر (ضمني)

ـ كأن مثار النقع فوق رؤوسنا/ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (تمثيلي)

ـ وأصبح شعري منهما في مكانه/ وفي عنق الحسناء يستحسن العقد (ضمني)

ـ وما أنا منهمو بالعيش فيهم/ ولكن معدن الذهب الرغام (ضمني)

ـ والبدر في كبد السماء كدرهم/ ملقى على ديباجة زرقاء (تمثيلي)

ـ ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها/ إن السفينة لا تجري على اليبس (ضمني)

ـ خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به/ في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل (ضمني)

المحاضرة الحادية عشر

الحقيقة والمجاز ـ الاستعارة ـ المجاز المرسل

الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في الأصل، أما المجاز فيعرف بأنه «اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي»[1]، فإذا كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي مشابهة، فالمجاز حينئذ استعارة، وإلا فهو مجاز مرسل.

وينقسم المجاز إلى:

ـ عقلي: يكون في إسناد الفعل أو ما يقوم مقامه إلى غير صاحبه، كقولنا: بنى عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة، فأسند الفعل (البناء) إلى عبد الملك، والحقيقة أنه مجرد سبب في الفعل، وهذا المجاز علاقته سببية، وكقولنا: جنّ جنون الرجل، فأسند الفعل هنا إلى مصدره لا إلى صاحبه، والعلاقة هنا مصدرية، ومثل: تزدحم الشوارع كل صباح، فأسند الفعل إلى الشوارع وهي مكان، والحقيقة هي أن تسند إلى الناس، والعلاقة هنا مكانية، ومثل: هذا الرجل دارت به الأيام فصار فقيرا، فأسند الفعل (دار) إلى زمان، فالعلاقة زمانية، ومثل: هذا الرجل نهاره صائم وليله قائم، فاستعمل اسم الفاعل (صائم، قائم) بدل اسم المفعول، والعلاقة هنا هي الفاعلية، ومثل قوله تعالى: (إنه كان وعده مأتيا)، فاستعمل اسم المفعول بدل اسم الفاعل،والعلاقة هنا هي المفعولية.

ـ لغوي: يكون في نقل الألفاظ من معانيها الحقيقية إلى معان مجازية، وهو نوعان: استعارة ومجاز مرسل

الاستعارة: هي مجاز علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي قد تكون لفظية وقد تكون حالية، والاستعارة في حقيقتها تشبيه حُذف أحد طرفيه، وهي قسمان:

ـ تصريحية: هي ما صرّح فيها بلفظ المشبه به، ومثالها قول الشاعر: وأقبل يمشي في البساط فما درى/ إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي، وقوله تعالى: (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)

ـ مكنية: هي ما حذف فيها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، كقول الشاعر: لا تعجبي يا سلم من رجل/ ضحك المشيب برأسه فبكى، وقول الآخر: وإذا العناية لاحظتك عيونها/ نم فالمخاوف كلهن أمان

إجراء الاستعارة: يعني تحليل الاستعارة بذكر جميع عناصرها

[1] جواهر البلاغة، ص251.

مثال: يقول أبو العتاهية: أتته الخلافة منقادة/ إليه تجرر أذيالها

شُبّهت هنا الخلافة بالمرأة الحسناء التي ترتدي ثوبا طويل الذيل، بجامع بهاء المنظر والحسن في كل منهما، وهذه هي العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ثم حذف المشبه به (المرأة) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (أتته منقادة)، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية، وهي (تجرر أذيالها) أي إثبات تجرير الأذيال للخلافة، والاستعارة مكنية.

الاستعارة الأصلية والاستعارة التبعية:

تقسم الاستعارة باعتبار لفظها إلى أصلية وتبعية، والأصلية ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا غير مشتق، كقول الشاعر يرثي ابنه الصغير: يا كوكبا ما كان أقصر عمره/ وكذاك عمر كواكب الأسحار، والتبعية ما كان ذلك اللفظ فعلا أو اسما مشتقا، مثالها قوله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب)

المجاز المرسل[1]:

هو اللفظة المستعملة في غير معناها الأصلي، لعلاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي، وله علاقات من أهمها: السببية، كقولنا: رعت الماشية الغيث، أي النبات، فالمطر سبب النبات، والقرينة هي رعت، المسببية، نحو قوله تعالى: (وينزل لكم من السماء رزقا) أي مطرا يسبب الرزق، والكلية، نحو (يجعلون أصابعهم في آذانهم)، أي أناملهم، والقرينة حالية وهي استحالة إدخال الأصبع في الأذن، والجزئية، وهي كون المذكور ضمن شيء آخر، نحو: (فتحرير رقبة مؤمنة)، اعتبار ما كان، نحو (وآتوا اليتامى أموالهم)، واعتبار ما سيكون، نحو: (إني أراني أعصر خمرا)، ونحو (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا)، والحالية، وهي كون الشيء حالا في غيره، نحو (ففي رحمة الله هم فيها خالدون)، فالمراد من الرحمة الجنة التي تحل بها الرحمة، والمحلية، وهي كون الشيء يحل فيه غيره، نحو: (فليدع ناديه)

تطبيق:

قم بإجراء الاستعارة في كل مما يلي:

ـ قال معروف الرصافي: عضّنا الدهر بنابه/ ليت ما حل بنا به (استعارة مكنية في عضنا)

ـ قال المتنبي في مدح سيف الدولة: عيب عليك تُرى بسيف في الوغى/ ما يفعل الصمصام بالصمصام؟ (استعارة تصريحية في صمصام والقرينة حالية) معنى البيت: أنت سيف في حدتك ومضائك فلا تحتاج إلى سيف)

[1] يُنظر: المصدر السابق، ص252 وما بعدها.

ـ وإذا المنية أنشبت أظفارها/ ألفيت كل تميمة لا تنفع (استعارة مكنية في المنية)

ـ (وفي عاد إذ أرسلنا إليهم الريح العقيم) (استعارة مكنية في العقيم: شبهت الريح التي لا تحمل المطر بالمرأة العاقر التي لا تحمل الجنين)

ـ (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) (استعارة تصريحية: الظلمات والنور)

ـ (إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها) (استعارة مكنية في رؤوسا)

المحاضرة الثانية عشر

الكناية

تعريفها: هي «لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي »[1]، والفرق بين الكناية والمجاز هو أنها تخالفه «من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمة. أما المجاز فلا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته »[2]، ومن أمثلتها: فلان طويل النجاد أي طويل القامة، وفلانة نؤوم الضحى، أي مترفة مدللة.

والكناية تنقسم إلى ثلاثة أقسام[3]:

ـ كناية الصفة: ويطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة الصفة المعنوية كالجود والشجاعة و..، ومن أمثلتها قولنا: فلانة بعيدة مهوى القرط، كناية عن صفة طول الجيد، فنحن لم نصرح بهذه الصفة وإنما كنّينا عنها بهذا التعبير، ومن ذلك أيضا قولنا: فلان كثير الرماد، كناية عن صفة الكرم.

ـ كناية الموصوف: يطلب بها نفس الموصوف، كقول أبي نواس: فلما شربناها ودب دبيبها/ إلى موطن الأسرار قلت لها: قفي، مخافة أن يسطو عليّ شعاعها/ فيطلع ندماني على سرّيَ الخفي، فالكناية في عبارة (موطن الأسرار) إذ يريد بها القلب أو الدماغ، وهو موصوف، فهي كناية عن موصوف.

ـ كناية النسبة: يراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، وبعبارة أخرى يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف، نحو قول الشاعر: إن السماحة والمروءة والندى/ في قبة ضربت على ابن الحشرج، فبدل أن ينسب هذه الصفات إلى ممدوحه بصريح اللفظ كنى عن نسبة هذه الصفات إليه بذكر القبة التي هو فيها، لأنه يلزم من ذلك اتصافه بتلك الصفات، ومن الأمثلة قول الشاعر: بين برديْك يا صبية كنز/ من نقاء معطر معشوق، فهي كناية عن نسبة (الطهارة) للمخاطبة بما يستلزم هذه الصفة وهو (كنز من نقاء)

تطبيق: بين أنواع الكنايات الآتية :

ـ يقول المتنبي في إيقاع سيف الدولة ببني كلاب:

فمساهم وبسطهمو حرير/ وصبحهم وبسطهمو تراب (كناية عن صفة)

ـ يقول أبو نواس: فما جازه جود ولا حل دونه/ ولكن يسير الجود حيث يسير (كناية عن نسبة)

---

[1] وهبة المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص171.
[2] علوم البلاغة، ص243.
[3] يُنظر: جواهر البلاغة، ص212 وما بعدها.

ـ يقول البحتري يصف قتله لذئب: فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها/ بحيث يكون اللب والرعب والحقد (كناية عن موصوف)

ـ تقول الخنساء: طويل النجاد رفيع العماد/ كثير الرماد إذا ما شتا (كناية عن صفة)

ـ يقول شاعر فيمن مات بعلة في صدره:

ودبت له في موطن الحلم علة/ لها كالصلال الرقش شر دبيب (كناية عن موصوف)

المحاضرة الثالثة عشر

المطابقة والمقابلة

المطابقة في الاصطلاح هي «الجمع بين متضادّين أي معنييْن متقابلَيْن في الجملة، ويكون بلفظيْن»[1]، وهذان اللفظان إما أن يكونا اسميْن كالبياض والسواد، أو فعليْن مثل يظهر ويخفى، أو حرفيْن كحرفَي الجر "في" و"عن" المتعلّقين بفعل مثل: "رغب في" و"رغب عن"، وفي كلام العرب منظومها ومنثورها أمثلة عديدة تتجلى فيها المطابقة بوضوح، منها قول امرئ القيس (الطويل): مكر مفر مقبل مدبر معا / كجلمود صخر حطّه السيل من عل

وقول قيس بن الملوح (الطويل): على أنني راض بأن أحمل الهوى / وأخلص منه لا عليّ ولا ليا

فالمطابقة هنا بين "عَلَيّ" و "لي".

ومن المطابقة ما يكون بألفاظ الحقيقة، ومنها ما يكون بألفاظ المجاز، فمن الأول قول الحصين بن الحمام(الطويل): تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد/ لنفسي حياة مثل أن أتقدما

ومن الثاني الذي يكون بألفاظ المجاز ويُسمّى أيضا بالتكافؤ قولُ أبي الشغب العبسي(الكامل): حلو الشمائل وهو مر باسل/ يحمي الذمار صبيحة الإرهاق

فالحلو والمرّ هنا خارجٌ مخرج الاستعارة، فلا الإنسان ولا شمائله مما يُذاق، فهذا تكافؤ[2].

وللمطابقة ثلاثة أنواع: مطابقة إيجاب، وهي ما يظهر فيها الضدان تصريحا، كاسمَيْ الدنيا والآخرة، ومطابقة سلب، وهي عكس ذلك، مثل "جزعت ولم أجزع" في قول امرئ القيس (الطويل): جزعت ولم أجزع من البين مجزعا / وعزّيت قلبي بالكواعب مولعا

والنوع الثالث هو ما يُعرَف بإيهام التضادّ، وهو ما يقع فيه إيهامُ ما ليس بضد أنه ضدّ، كقول الشاعر(الكامل): يبدي وشاحا أبيضا من سيبه / والجو قد لبس الوشاح الأغبرا

[1] الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1904م، ص348.
[2] يُنظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، (د ون ت)، ص111، 112.

فيقع الإيهام في لفظ "أغبر" أنه ضدّ "أبيض"، وإنما ضده الأسود[1].

المطابقة محسّن معنويّ كما هو ظاهر، ولكن يتجلى في وجود لفظين تتعدد أحوالهما، فتارة يكونان متضادّين صريحَيْ الضّدّيّة كخرج ودخل، وتارة يكون تضادّهما مختفيا باستعمال أداة نفي ظاهرة، كخرج ولم يخرج، وتارةً يكون أحد اللفظين قريبا في المعنى من ضدّ الآخر، فالمنشئ للكلام هو من يختار أحد هذه الأحوال بما يستدعيه المعنى ويُبتعَد به عن التكلّف، أي بما يحقّق التناسب في التأليف بين اللفظ وضده، فإن «من صفات الأدب الجيد تلاحم أجزائه وائتلاف ألفاظه حتى كأن الكلام بأسره من حسن الجوار وشدة التلاحم كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد. وكما يتم هذا التلاحم عن طريق التشابه يتم كذلك عن طريق التضاد، لأن المعاني يستدعي بعضها بعضا، فمنها ما يستدعي شبيهه، ومنها ما يستدعي مقابله» [2]، فمتى أراد المتكلم ائتلاف اللفظ مع اللفظ على وجه الموافقة أو التضادّ اختار اللفظ المناسب لما بعده، من ألفاظ كثيرة تصح تأدية المعنى بها.

وأما المقابلة فهي ــ كما يعرفها القزويني ــ :«أن يؤتى بمعنييْن متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل» [3]، على أن هناك من يشترط أن يكون ذلك التقابل تضادّا[4].

ومن شواهد المقابلة قول الله تعالى: (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا)[التوبة 82]، فالتركيب: (فليضحكوا قليلا) يقابله التركيب (وليبكوا كثيرا)، لأن: ليضحكوا ≠ ليبكوا، قليلا ≠ كثيرا.

ومن حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم يخاطب الأنصار: (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع).

ومن الشعر قول النابغة الذبياني(الطويل): فتى تمّ فيه ما يسر صديقه / على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وتتعدّد صور المقابلة، فمنها مقابلة اثنين باثنين، كما ورد في الأمثلة السابقة، ومنها مقابلة ثلاثة بثلاثة، كقول أبي العتاهية (البسيط): ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا / وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

وكقول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (إن الحقّ ثقيل وبيّ، وإن الباطل خفيف مريّ)

---

[1] يُنظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (دون ت)، ص80.
[2] المرجع نفسه، ص90، 91.
[3] الإيضاح في علوم البلاغة، ص259.
[4] يُنظر: أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ/1987م، ص424.

ومنها مقابلة أربعة بأربعة، كقول جرير (الطويل): وباسط خير فيكم بيمينه/ وقابض شر عنكم بشماله

فقابل بين باسط وقابض، وبين خير وشر، وبين فيكم وعنكم، وبين يمينه وشماله.

ومنها مقابلة خمسة بخمسة، ومثالها قول المتنبي (البسيط): أزورهم وسواد الليل يشفع لي/ وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فقابل بين أزور وأنثني، وبين سواد وبياض، وبين الليل والصبح على مذهب من يقول بجواز مقابلة الأضداد وغير الأضداد، وبين يشفع ويغري، وبين لي وبي.

ومنها مقابلة ستة بستة، مثل قول عنترة العبسي(الطويل): على رأس عبد تاج عز يزينه/ وفي رجل حر قيد ذل يشينه

وبما سبق من الأمثلة نكتشف ذلك الرونق الذي تحدثه المقابلة في اللفظ، والبهجة التي تبثّها في النفس؛ لما فيها من التناسب بين ألفاظها على وجه التضادّ، فالضّدّ يظهر حسنه الضد، وبالأضداد تتمايز الأشياء، وأما من حيث الدلالة فإن المعنى يتقوّى بالمقابلة، ويتّضح ويتجلى، بشرط أن تجري المقابلة أو المطابقة مجرى الطبع الذي لا تكلّف فيه.

تطبيق:

ـ عرّف المطابقة والمقابلة، واضرب أمثلة عن كل منهما.

ـ لماذا سُمّيت المطابقة بالمطابقة؟ (للبحث) وما أنواعها؟

ـ حدّد الأثر البلاغي لكل من المقابلة والمطابقة في الكلام.

المحاضرة الرابعة عشر

الجناس والسجع

الجناس محسن بديعي لفظي، يعرّفه ابن المعتز بقوله: «هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها »[1]، ولهذا التشابه في الحروف صور عديدة ذكرها علماء البديع، إلا أن هذا التشابه لا يحسن في كل موضع، بل له أحوال يُستحسن فيها، وأخرى يستقبح فيها، والعمدة في ذلك هي السجية والطبع، فما كان متكلّفا فيه نبا وقبح، وما لم يدخله تكلّفٌ حسن وملح.

ينقسم الجناس إلى تامّ وغير تامّ، فأما التام فهو ما اتفق فيه اللفظان من حيث نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها، مع الاختلاف في المعنى [2]، وهو ثلاثة أنواع[3]: الأول الجناس المماثل وهو ما تماثل لفظاه في نوع الكلمة اسما كان أو فعلا أو حرفا، مثل قول المعرّي
تقول أنت امرؤ جاف مغالطة / فقلت: لا هوّمت أجفان أجفانا ، فأجفان الأولى جمع جفن، وأجفانا "الثانية" من أفعل التفضيل: أجفى، وكلاهما اسم.
ومثل قول أبي محمد الخازن: قوم لو انهمو ارتاضوا لما قرضوا/ أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا، فـ"شعروا" الأولى من الشعور، والثانية من قرض الشعر، وكلاهما فعل.
ومثل قولنا: (مِن الناس مَن يعمل مِن شروق الشمس إلى غروبها) ، فـ مِن الأولى تفيد التبعيض، ومِن الثانية تفيد ابتداء الوقت، وهما حرفان.
والثاني من أنواع الجناس التام هو المستوفى، وهو ما كان لفظاه من نوعين مختلفين للكلمة، كأن يكون أحدهما اسما والآخر فعلا، ومثاله من قول أبي تمام : ما مات من كرم الزمان فإنه/ يحيا لدى يحيى بن عبد الله، فـ (يحيا) الأولى فعل، والثانية اسم.
والثالث من أنواع الجناس التام هو جناس التركيب، وهو أن يتركب أحد اللفظين المتجانسيْن من كلمتيْن: فإما أن يتشابه المتجانسان خطا ولفظا، ويُسمّى المتشابه، مثل قول الشاعر :
إذا لم يكن ملكٌ ذا هبهْ / فدعه فدولته ذاهبهْ ، وإما أن يتشابها في اللفظ دون الخطّ، ويُسمّى المفروق، مثل قول الشاعر : سل سبيلا إلى النجاة ودع دمـــ / ـــع عيوني يجري لهم سلسبيلا، وإما أن تكون فيه الكلمة المركبةُ مركّبةً من كلمة وجزء من كلمة أخرى، ويُسمّى المرفوّ، مثل قول الشاعر: والمكر مهما اسطعت لا تأته/ لتقتني السؤدد والمكرمه، فالجناس المرفوّ هنا بين (المكرمه) في آخر البيت وبين (المكر + مَهْ) في أوله.
وأما الجناس غير التامّ فهو «ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة التي يجب توافرها في الجناس التام، وهي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها»[4].

---

[1] ابن المعتز، كتاب البديع، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 2012م، ص36.
[2] يُنظر: جواهر البلاغة، ص326.
[3] يُنظر: علم البديع، ص197 وما بعدها.
[4] المرجع نفسه، ص250.

فمن أمثلة ما اختلف في نوع الحروف قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: (الخيل معقود في نواصيها الخير)، باختلاف الحرف الأخير من الخيل والخير، وأما ما اختلف لفظاه من حيث عدد الحروف، فيُسمى جناسا ناقصا، «واختلافهما يكون إما بزيادة حرف في الأول نحو دوام الحال من المحال أو في الوسط نحو: جَدّي جَهْدي، أو في الآخِر نحو: الهوى مطية الهوان، والأول يُسمى "مردوفا" والثاني يسمى "مكتنفا" والثالث يسمى "مطرّفا"»[1].

وأما **السجع** فهو « توافق الفاصلتين في الحرف الأخير »[2]، وهو إلى جانب ذلك حسنٌ يقع في الكلمات المسجوعة وفي تركيبها، ومن ذلك الحسن أن تكون الكلمات على وزنٍ واحد.

ومن أمثلته قوله تعالى: (والعاديات ضبحا+ فالموريات قدحا+ فالمغيرات صبحا) [العاديات من 01 إلى 03]، مع التحفّظ على تسميته سجعا في القرآن الكريم، والخلافُ في ذلك معروف.

وكذلك من أمثلته قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام).

وللسجع أقسام هي[3]:

أولها المطرّف، وهو ما اختلفت فيه الفواصل وزنا، واتفقت رويّا، ومثاله قوله سبحانه: (ألم نجعل الأرض مهادا + والجبال أوتادا)[النبأ 06 07]، فـ "مهادا" و"أوتادا" يختلفان في الوزن وينتهيان بحرف واحد.

وثانيها المرصّع، وهو ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتيْن في الوزن والحرف الأخير من كل لفظة، مثاله قول الحريري في المقامات: "يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه".

وثالثها المتوازي، وهو ما كان الاتفاق فيه في اللفظتين الأخيرتين فقط، ومثاله قوله تعالى: (والمرسلات عرفا + فالعاصفات عصفا)[المرسلات 01 02].

ومن أحسن السجع أيضا ما تساوت فيه أجزاء فقره من حيث عدد الكلمات، نحو قوله تعالى:(في سدر مخضود+ وطلح منضود+ وظل ممدود)[الواقعة من 28 إلى 30].

تطبيق:

ـ عرّف الجناس واذكر أنواعه

ـ عرّف السجع واذكر أنواعه

ـ ما الأثر البلاغي الذي يحدثه كل منهما في الكلام؟

المراجع والمصادر المعتمدة

[1] جواهر البلاغة، ص326.
[2] المرجع نفسه، ص330.
[3] المرجع نفسه، ص331.

1 ـ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، (دت).

2 ـ ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، (دون ت).

3 ـ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط07، 1998م.

4 ـ الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 02، 1965م.

5 ـ الخطيب القزيني، الإيضاح في علوم البلاغة،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م/1424هـ.

6 ـ الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1904م.

7 ـ شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة مبارك العامة، مصر، ط02، 1992م.

8 ـ شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط09، (دت).

9 ـ عبد الرحمان الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، تح: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، (د ت).

10 ـ عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (دون ت).

11 ـ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2009م/1430هـ.

12ـ عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط04، 2000م.

13 ـ علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف.

14 ـ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (دت).

15 ـ مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، (دت).

16 ـ محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط01، 2003م.

17 ـ محمد بن جرير الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، القاهرة، ط1، 2001م.

18 ـ ابن المعتز، كتاب البديع، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 2012م.

19 ـ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دت).

20 ـ موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي، إربد، ط01، 2003م.

21 ـ وهبة المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب.

22 ـ أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ/1987م.

فهرس المواضيع

البلاغة: المصطلح والمفهوم 02
البحث البلاغي: نشأته وتطوره (1).....05
البحث البلاغي: نشأته وتطوره (2).....08
فروع علم البلاغة 11
البلاغة والأسلوبية 13
الأسلوب الخبري وأضربه 16
الأسلوب الإنشائي وأضربه 18
التقديم والتأخير 21
الفصل والوصل.....24
التشبيه 28
الحقيقة والمجاز، الاستعارة، المجاز المرسل 31
الكناية 34
المطابقة والمقابلة 36
الجناس والسجع 39
المراجع والمصادر المعتمدة 41